الأساليب التي استخدمها العباسيون لكسب الولاء وشراء ذمم وعقول الأدباء

م.د. تحرير محمد جعدان *
بشار جواد كاظم الدليمي **

*المديرية العامة لتربية بابل
** وزارة الثقافة والسياحة والآثار

ملخص :

إن اسلوب بذل المال من بين الأساليب التي تبناها خلفاء الدولة العباسية لفرض سيطرتهم وتثبيت سلطانهم، وقد تفنن الحكام العباسيون في استخدام هذا الأسلوب، فتارة استعمل لشراء ذمم العلماء والأدباء، وتارة أخرى للتخلص من الخصوم السياسيين والمعارضين لحكم الدولة، تلك السياسة ظهرت نتيجة لمسلكهم في محاولة الحفاظ على سلطاتهم واحتواء اعدائهم، إذ عمل الحكام على تقريب الأدباء الاغداق عليهم بالأموال والهدايا والجوائز من أجل العمل على التنظير للسلطة وشرعنه لأعمالها، لذا سعى العباسيون جاهدين لشراء الذمم واستقطاب رجال العلم والعلماء وإقامة المناظرات وترجمة الكتب، والإغداق بالأموال على هؤلاء العلماء والأدباء، فضلاً عن ذلك فقد اسندت إليهم مناصب مهمة في الدولة فانقطع هؤلاء في خدمة الخليفة أو السلطان فصنفوا لهم المؤلفات لينالوا رضاهم وعطياتهم .

كلمات مفتاحية : الدولة العباسية، سياسة بذل المال، الأدباء ، المؤلفات

The Methods Used by the Abbasids to Win Loyalty and Buy the Reputations and Minds of Writers

Assist. Dr. Tahrir Mohammed Jadan
Directorate General of Education in Babylon
Bashar Jawad Kazem
Ministry of Culture, Tourism and Antiquities

ABSTRACT

Spending money is among the methods adopted by the Abbasid Caliphs to impose their control and establish their authority. Preserving their powers and containing their enemies, as the rulers worked to bring the writers closer by endowing them with money, gifts, and prizes in order to work on theorizing authority and legitimizing its work. Therefore, the Abbasids endeavored to buy consciences, attract scholars, hold debates, translate books, and pour money on these scholars and writers.

In addition to that, important positions were assigned to them in the state, so these people were devoted to serving the caliph or sultan, and they wrote books for them to gain their approval and gifts.

KEY WORDS: The Abbasid State, the Policy of Spending Money, Writers, Literature.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار المنتجبين.

من هذا البحث نستعرض أهم الموضوعات التي يعاني منها المجتمع الا وهي استخدام سياسة الأموال في شراء الذمم وكسب الولاء وبيع المناصب العليا في الدولة في عصر الدولة العباسية، وأبدى بنو العباس أهمية كبيرة لتقريب الأدباء وبذلوا الأموال لهم لا لاصطناعهم وشراء ذممهم فحسب بل للاستفادة من رصيدهم الشعبي وحظوتهم لدى عامة الناس، فمن خلال هؤلاء يتسنى للسلطة كسب قاعدة شعبية واسعة دون عناء، وأن الحكام أو السلاطين اتبعوا نهجاً في اختيار موظفيهم وفي أسناد المناصب المهمة في

الدولة، ولم يعتمدوا النزاهة بل أصبح المعيار الاساسي في الاختيار هو معيار الولاء والطاعة لنظام حكمهم، لذا فان رجال العلم والعلماء اغدقوا عليهم الأموال فأصبحوا من أصحاب الحل والعقد، فانتفت بذلك الصفات الأخلاقية والمؤهلات الأخرى، وظهرت فيما بعد أساليب عدة وطرائق غير شرعية لأجل الحصول عليها كان أحدها أسلوب شراء ذمم الأدباء وإهداء المؤلفات من أجل الحصول على الأموال أو الهدايا مقابل تقديم فروض الولاء والطاعة.

قسمت البحث على مقدمة ومبحثين وتتبعها خاتمة وقائمة مصادر

تناولت في المبحث الأول: كان العباسيين يقربون الأدباء والعلماء إلى جانبهم عن طريق اغداق الأموال وكسب الولاء ليشتروا بها ضمائرهم فيملون عليهم ويكتبون بما يخدم سياستهم من أجل تقوية جذور سلطتهم.

وخصص المبحث الثاني: لسياسة بذل المال، حيث نجحوا بتوظيف سياسة شراء الذمم والولاءات عندما كسب بني العباس الأدباء وإهداء المصنفات لهم من أجل أضفاء صفة القداسة على شخص السلطان أو الحاكم وشرعية خلافتهم لرسول الله ﷺ وتزيف الحقائق التي تؤكد على ذلك من خلال أدباء السلطة.

المبحث الأول

كسب الولاء وشراء ذمم الأدباء

كان للمؤلفات دور كبير في نشر فكرة معينة تسعى السلطة لإثباتها، وهي أفكار ذات أبعاد سلطوية استحواذيه، إذ لا ينحصر ذلك على مدة معينة، بل هي أفكار سيستمد تأثيرها وتنغرس جذورها في عقل الأنسان إلى أبعد مدى في العهد الذي يعشه والعهود التي تتبعه إلى يومنا هذا، إذ تعد وسيلة ضغط ودعاية بعيدة المدى، لذا نجد أن العباسيين يسعون جاهدين لشراء ذمم واستقطاب رجال الدين والعلماء والأدباء وإقامة المناظرات وترجمة الكتب، والاغداق بالأموال على هؤلاء العلماء والأدباء بالأموال والاقطاعات والعيش المترف وأسنادهم مناصب مهمة في الدولة فانقطع هؤلاء في خدمة الخليفة والسلطان والوزير فصنفوا لهم المؤلفات ونادموهم وصوروا لهم الحق باطلاً والباطل حقاً؛ لينالوا رضاهم وعطياتهم.

أستطاع الخليفة العباسي المهدي أن يقرب الأدباء واشترى ذمماً وكسب ولاء الكثير منهم حتى عملوا في خدمته، ومن بين هؤلاء الأديب ابن الضبي[1] الذي قرَّبه المهدي منه وبذل له الأموال وسخره لخدمته، ففي أحدى المرات خرج مع المهدي وقد بذل له المهدي خمسين الف[2]، إذ أمره المهدي أن يصنف له كتاباً في الأمثال وحروب العرب فصنف له[3]، والدليل على ذلك قوله:» فوصلني وأحسن الي»[4].

ومن الأدباء أيضاً الذين بذل لهم الخليفة العباسي الهادي حتى شروا دنياهم بآخرتهم, وكرسوا علمهم وجهدهم ووقتهم للخلفاء ولم ينتفع من علمهم أحد سوى عيسى بن دأب الليثي, إذ كان من رواة الأخبار والأشعار وعالماً من علماء أهل الحجاز ، ويعد واحداً من أكثر علماء أهل الحجاز أدباً ومعرفة[5] وكان ذا مكانة كبيرة عند الخلفاء العباسيين المهدي والهادي[6]، إذ كان لا يفارق الهادي إلاَّ اليسير من الأيام طمعاً لما يمتلكه الهادي من نعيم الدنيا, إذ أَنَّ الهادي قال له يوماً :» يا عيسى ما استطلت بك يوماً ولا ليلة ، ولا غبت عني إلاَّ ظننت أني لا أرى غيرك»[7]، فمن أحدى هبات الهادي له أن أمر له بثلاثين ألف دينار فلما تأخر في قبضها خاطب الهادي أحد غلمانه قائلاً: « أما ترى ابن دأب، ما غير من حاله ؟ ولا تزيا لنا، وقد برزناه بالأمس ليرى أثرنا عليه «, فلما خاطبه تبين له سبب تأخر قبضه للأموال، فأمر الهادي أن تصرف له فحملت الثلاثين ألف بين يدي ابن دأب [8] .

تكشف لنا الرواية محوراً مهماً من محاور شراء الذمم والتي تأتي تحت مسميات البر والإحسان ، ولكن يكشف من ناحية أخرى إن خلفاء بني العباس يبذلون الأموال لهذه الفئة حتى اشتروا ذممهم وتغيرت أحوالهم فانشغلوا بنعيم الدنيا عن الآخرة فلم ينتفع من العلم الذي أنعم الله به عليهم سوى من انتفعوا منه بل واستغلوا ذلك خير استغلال لينالوا ما تشتهيه أنفسهم من زخارف الدنيا وملذاتها. وظهر أثر عطايا بني العباس على ابن دأب عندما دخل على عيسى بن موسى[9] فوجده غاضباً يلتمس عذراً لمن قتل في معركة فخ[10] فقال

(1) المفضل بن محمد بن يعلى ، أبو عبد الرحمن الضبي، الأديب النحوي اللغوي من أشهر علماء الكوفة، عالماً بالأخبار والشعر والعربية ، وقد اتصل بالخليفة العباسي المهدي فوصله ، وكانت له العديد من المصنفات منها(كتاب الاختيارات) و(كتاب معاني الشعر) وغيرها من المصنفات. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، 166/19.

(2) الاصفهاني ، الاغاني، 351/6؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 166/19.

(3) الطبري ، تاريخ الطبري، 400/6؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 167/19.

(4) الطبري ، تاريخ الطبري، 400/6.

(5) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، 151/11.

(6) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، 328/3 .

(7) الطبري ، تاريخ الطبري، 343/6 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، 3/ 335 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 105/6 .

(8) الطبري ، تاريخ الطبري، 434/6 ؛ الخطيب البغدادي، 151/11؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 105/6.

(9) ولا بد أن نشير إلى موقف عيسى بن موسى هذا القائد العباسي الذي أشترى دنياه بأخرته طمعاً بالملك والدنيا الزائفة، فموقفه يوم فخ وقوله ما هو إلاَّ دليل على ذلك، فعندما أرسل أحد اتباعه ليتجسس على أصحاب الحسين رجع إليها قائلاً:» ما رأيت الاَّ مصلياً أو مبتهلاً أو ناظراً في مصحف ... فخبرته بخبرهم. فصفق بيده وبكى حتى ظننت انَّه سينصرف ثم قال: هم والله أكرم خلق الله واحق بما في أيدينا منا ولكن الملك عقيم ولو أن صاحب القبر يعني

له: أصلح الله الأمير أنشدك شعراً كتبه يزيد ابن معاوية يعتذر فيه إلى أهل المدينة من قتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام قال : أنشد الشعر فقال[11]:

يـا أيها الـراكـب الـغـادي لطيته	على عد آخـره في سيرها قحم
أبلغ قريشا على شحط المزار بها	بيني وبين الحسين الله والرحم
ومـوقـف بفناء البيت أنشده	عهد الالـه ومـا توقي به الذمم
عنيتم قـومـكـم فـخـرا بأمكم	أم لـعـمـري حـصـان بـرة كـرم
هي التي لا يدانى فضلها أحد	بنت الرسول وخير الناس قد علموا
أن سوف يترككم ما تدعون بها	قتلى تهاداكم العقبان والرخم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ سكنت	ومسكوا بحبال السلم واعتصموا

تمكن الخلفاء العباسيون من شراء ولاء وذمة الجاحظ (ت: 255هـ/ 868م) فقدم لهم الولاء المطلق، إذ كان يصنف لهم الكتب التي تلائم توجهاتهم السياسية مقابل ذلك حظي الجاحظ بمكانة مميزة عند الخلفاء العباسيين وفي البلاط العباسي هذا فضلاً عن العطايا الجمة التي كان ينعم بها الخلفاء العباسيون عليه، فانغمس الجاحظ بملذات الدنيا ونعيمها وصار فكره متوجها بتوجهات العباسيين وميولهم السياسية, إذ يعد الجاحظ من الأدباء والمفكرين البارزين أبان العصر العباسي أمتاز الأديب بكثرة مؤلفاته فضلاً عن بلاغته وتعدد آرائه [12]، وكما علمنا أن العباسيين اشتروا ولاء طائفة من الأدباء بدعمهم مادياً ومعنوياً، إذ كانوا يبذلون الأموال والعطيات لمن يعمل منهم في خدمتهم، كان الجاحظ واحد من أولئك المفكرين والأدباء الذين رغبوا أن تكون لهم مكانة حسنة عند الخلفاء وحاشيتهم فباع فكره وقدم الولاء والطاعة للخلفاء العباسيين مقابل موهبته العلمية التي أنعم الله بها عليه، ومما يؤكد على ذلك عندما سئل عن حاله، فقال:»

أن العباسيين اشتروا ولاء طائفة من الأدباء بدعمهم مادياً ومعنوياً، إذ كانوا يبذلون الأموال والعطيات لمن يعمل منهم في خدمتهم

رسول الله... نازعنا الملك لضربنا خيشومه بالسيف وسار إليهم وفعل ما فعل» . ينظر : الزمخشري ، ربيع الأبرار، 190/5 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 294/9.

(10) وهـي معركة حدثت بين الطالبيين من الفرع الحسني بقيادة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) والعباسيين في موضع فخ قرب مكة زمن الهادي العباسي سنة 169هـ/ 786م، وقد انتهت بمقتل الطالبيين أشد قتلة وقيل انَّهم بقوا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلتهم السباع والطير وأخذ بعض من نجا منهم وقتل, ونجا منها عدد قليل منهم: ادريس بن عبد الله بن الحسن الذي أسس دولة بالمغرب العربي. ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، 416/6؛ المسعودي، مروج الذهب ، 327/3؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص43 ؛ البكري ، معجم ما استعجم، 1014/3.

(11) الطبري ، تاريخ الطبري ، 419/6؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 158/16.

(12) ابـن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،432/45.

(13) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 11/2.

يتكلم الوزير برأيي وصلات الخليفة متواترة الي وأكل من الطير اسمنها والبس من الثياب الينها»[13]، ابتدأ الجاحظ علاقته بالعباسيين عندما بدأ يتردد على دار الأمارة في البصرة ثم بدأت علاقته بالمأمون العباسي عندما أمر الأخير أن يؤلفوا له في الإمامة فكان الجاحظ من أولئك المفكرين الذين سعوا جاهدين لتكون لهم مكانة في البلاط العباسي، فكان أحد الماجورين الداعين بأحقية وشرعية الخلافة العباسية من خلال مصنفاته، وكانت الدعاية التي مارسها الجاحظ على محوريين: الأول منها مباشر اختص به العباسيون بالذكر محاولاً جاهداً ابراز نسبهم من الرسول محمد ﷺ ثم بيّن أهمية النسب في تولّي الخلافة في الوقت نفسه ازاحها عن الأمويين وعن الطالبيين وجاء ذلك بشكل خاص برسالته العباسية وعمد إلى استخدام ادوات الحصر والتأكيد والإقرار هذا الأمر بقوله :» إن كانت الخلافة أنَّما تنال بالوراثة وتستحق بالعمومة وتستوجب بحق العصبة»[14]، فحصر بذلك الإمامة في الفرع العباسي من الأسرة الهاشمية العلوية، فهو لمح إلى أن العم يرث قبل ابن العم ، فاذا كانت الإمامة تورث فالعباس أحرى بها من غيره ، وعنى بذلك استبعاده للعلويين عن هذا الأمر أيضاً بعد أن نفى أي حق للأمويين فيها[15]، وعرض مسألة ذات أهمية كبيرة في سياسة العباسيين والتي حاولوا تأكيدها كما ذكرنا سابقا بأحاديث أسندت إلى الرسول ﷺ وشرعنها فقهاء السلطة بما يلائم سياستهم، ومن المؤرخين الذين دافعوا عن شرعية الخلافة العباسية الجاحظ، بعد أنْ اشترى العباسيين ذمته وكسب ولائه, إذ أكد أن الخروج عن السلطان أمر غير ممكن وجاءت معالجته لها معالجة بشكل يوحي للآخر بشرعيتها ، وأيضاً غير ممكن عملياً ونظرياً، ومن يقوم بذلك لن يلق إلاَّ الاخفاق ليصل إلى نتيجة مؤداها ضرورة القبول والتسليم بالحاكم القائم فعلاً، وهذا أهم ما قدمه الجاحظ فكرياً للسلطة العباسية[16]، وبما يمتلكه الجاحظ من مواهب بلاغية وقدرات معرفية، ظهر

الجاحظ من أولئك المفكرين الذين سعوا جاهدين لتكون لهم مكانة في البلاط العباسي، فكان أحد الماجورين الداعين بأحقية وشرعية الخلافة العباسية من خلال مصنفاته

(14) الجاحظ، الرسائل السياسية، ص420؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، 236/15.

(15) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ص197؛ الجاف، النقد في العصر العباسي ، 271؛ نوري ، الجاحظ بين الدعاية السياسية للسلطة ، ص 3315.

(16) الصميدعي ، دور الخاصة السياسي في العراق ، ص 71.

واجبه اذاعة ونشر وتفسير الأوامر الحكومية أو الأفكار الدينية التي مالت إليها السلطة الجائرة، ثم الدفاع عن العباسيين وتسويغ مكانتهم في السلطة، واحيل إليه مرات عديدة وضع الكتب والرسائل وفي موضوعات أرادتها السلطة ان تذيع وتنتشر بين الناس، ويذكر لنا أحد المؤرخين إلى ذلك بالقول:» فكفى لها أن اقترنت باسمه الجاحظ ليلتقطها الناس وهو أمر ادركته السلطة جيداً فأفادت منه»[17]، فقد كلفه الخليفة المأمون بوضع رسائل بموضوع الإمامة كما ذكرنا آنفاً، وكلفه أيضاً الخليفة المتوكل بوضع رسالة في الرد على النصارى[18] .

من النصوص تبين لنا أن الجاحظ لم يكن إلاَّ واحد من الأدباء الكثيرين الذين اشترى الخلفاء العباسيون ذممهم وولاءهم فصنفوا لهم مصنفات بما يناسب سياستهم، مساندة لهم تعصف في عقول الخاصة والعامة أفكارهم وسياستهم، سيَّما وأن هؤلاء الأدباء كانوا على درجة عالية من الدهاء والذكاء في صنع الأفكار التي يتلقاها المستمع، واشتهر بعضهم ما بين الخاصة والعامة فتلقفوا مؤلفاتهم فوصلت أفكار الخلفاء وكما يريدون من سياسة فرض الولاء والطاعة، قمع كل من يتجرأ على الحاكم حتى ولو كان ظالماً ، واعطاء الحق للحاكم في التصرف، واثبات شرعية الخلافة للعباسيين، فشحذوا الفرد من ذلك المجتمع من الخاصة والعامة على حد سواء بهذه الأفكار السامة والمزيفة عن طريق هؤلاء الأدباء أو بالأحرى أدباء السلطة وخدمها فكرياً.

ومما يؤكد ذلك أن السلطة العباسية اشترت ذمة وولاء الجاحظ، هو موقفه السياسي غير الثابت وأفكاره المروجة حسب اهواء السلطة

ومما يؤكد ذلك أن السلطة العباسية اشترت ذمة وولاء الجاحظ، هو موقفه السياسي غير الثابت وأفكاره المروجة حسب اهواء السلطة، ففي رسالته «العباسية» انتقد سياسة أبي بكر وعمر ودافع عن حق العلويين بـالإرث، إذ حاول من خلال عرض مسألة الإرث وإظهار حق العباسيين بالخلافة ، فيما اظهر تناقضاً واضحاً في رسالته العثمانية التي وضعها قبل سنة 240 هـ/854م، عندما تعرضت الخلافة في عهد المتوكل إلى موقف مناوئ للعلويين فنكل بهم[19].

(17) البستاني ، أدبـاء العرب ، ص216؛ نـوري ، الجاحظ بين الدعاية السياسية ، ص321.

(18) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 100/16.

(19) مسكويه، تجارب الأمم،298/4.

وانتقد الجاحظ الهاشميين العلويين وأتباعهم وحاول فاشلاً أن يخفف مواقف الإمام علي(عليه السلام) مقللاً من شأنها، مؤكداً بالوقت نفسه ومقدماً الحجج والآراء التي ابرز فيها افضلية أبي بكر واحقيته بالخلافة[20]، فجاءت أفكاره ومدوناته بما يلائم اهواء الخلفاء العباسيين، وبالوقت الذي انتقد فيها سياسة الأمويين انتقاداً كبيراً ولاسيَّما في عهد الخليفة المأمون الذي حاول لعن معاوية على المنابر، كذلك فعل في عهد الخليفة الواثق ونال منهم في رسالته التي بين فيها فضل بني هاشم على بني عبد شمس، في حين أنَّه اثنى الأمويين في مواضع عديدة مادحاً سياستهم، والدليل على ذلك قوله في معاوية: « يكتب إلى اطرافه وعماله وإلى زياد بالعراق بإطعام السابلة والفقراء وذوي الحاجة، وله كل يوم أربعون مائدة...»[21] .

وتمكن الخلفاء العباسيون من شراء ذمة الصولي[22]، فعمل في خدمتهم فرفعوا مكانته عالياً حتى تولّى مناصب مهمة في الدولة، ونادمه الخلفاء العباسيين (الراضي، المكتفي، المقتدر)[23]، هذا فضلاً عن الهبات الثمينة التي كان الخلفاء ينعمون بها عليه، وحدث عن أحدى عطايا الخليفة العباسي الراضي له بقوله:» أحضرنا واجلسنا حول بركة وملئت ماء وأمر فيها بمثقلات كافور[24] كبار وصغار...فوقفت بين بعضنا مثقلة وقدام بعضنا مثقلتان أنا منهم وقفت لي صغيرة وكبيرة باعها لي ... بثلاثين الف درهم ودفع الينا نداً[25] كبيراً وعنبراً...»[26] ، بهذه الأموال استطاعوا خلفاء بني العباس من شراء ذمم الكثير من الأدباء فانشغلوا في خدمتهم وكرسوا فكرهم وجهدهم وعلمهم في تزييف الباطل وعدم قول الحق، فشغلتهم ملذات القصور ونعيمها المترف عن النزول إلى الواقع الاجتماعي ونقل معاناته بالصورة الصحيحة .

وعندما استوزر ابن مقلة استأجر كاتباً وهو عبد الله بن ثوبة[27]، وأمره بعمل كتاب يلخص فيه مثالب وعيوب الخليفة القاهر بأمر الله من أجل نشره بين الناس[28]، حيث قام القاهر والراضي بحبسهم وعزما على قتلهما فاراد ابن مقلة وابن ثوابه أن يقدما فروض الطاعة

(20) الجاحظ ، كتاب العثمانية، ص6- 7؛ رسائل الجاحظ ، ص 7.

(21) الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك، ص15.

(22) أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي، من الأدباء الظرفاء والجماعيين للكتب نادم الراضي العباسي وكان معلماً له ثم نادم المكتفي والمقتدر، من العب أهل زمانه بالشطرنج ، له تصانيف مهمة منها: (كتاب الاوراق) ، توفي مستتراً في البصرة لأنه روى خبرا في الإمام علي(عليه السلام) فطلبه الخاصة والعامة سنة(335هـ/946م)، وقيل سنة(336هـ/947م). ينظر: ابن النديم، فهرست، ص167؛ دميري ، حياة الحيوان، 196/2؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، 25/1.

(23) الجاحظ، كتاب العثمانية، ص8.

(24) وزن معروف قدره الكافور: هو الطيب بل قيل هو اخلاط من الطيب من كافور الطلع ، ويكون من شجر بجبل الهند والصين عظيمة كثيرة الأغصان ، خشبه أبيض هش يوجد في جوفه كافور، وهو أنواع ،ولونها أحمر، يتبيض بالتصعيد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب،11/5،86/149؛ الزبيدي، تاج العروس، 454/7.

(25) نوع من الطيب، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،355/5؛ الرازي، مختار الصحاح،334.

(26) وهذه من عطاياه القليلة من العطايا الكبيرة التي بذلها الخلفاء له منها : خاتم فصه ياقوت غير الصلات والند والعنبر والأموال . ينظر: الصولي ، الأوراق ، 19/2 ،38،31.

(27) توفى 312هـ/924م . ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات ، 242/7.

(28) الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري ، 300/9 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 9/8 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، 68/17.

والولاء للخليفة الراضي لما ولّي العرش سيَّما وأنهما كانا يطمعان في نيل المناصب المهمة في الدولة.

استطاع خلفاء بني العباس من شراء ذمم الكثير من الأدباء فانشغلوا في خدمتهم وكرسوا فكرهم وجهدهم وعلمهم في تزييف الباطل وعدم قول الحق

بينما استأجر الحسين بن القاسم[29] رجلاً يعرف بالدانيالي[30] وهو رجل قد باع ذمته من أجل الحصول على الأموال إذ كان يعتق الكاغد ويكتب به ما يشابه الخط العتيق ويكتب فيه إشارات ورموز يودعها واسماء أقوام من أرباب الدولة فبذلوا له واغنوه ، ومنهم حسين بن قاسم اتصل به وكان يطمع بالوزارة في عهد الخليفة العباسي المقتدر فأمره أن يؤلف له كتاباً يذكره فيه ويعرضه على المقتدر، فعمل على وضع كتاباً بصفاته وعتقه ووصفه فيه علامات وجهه قائلاً:» يزر للخليفة الثامن عشر من خلفاء بني العباس وتستقيم الأمور على يده ...»[31]، واشارة فيها أيضاً لصفات الحسين بن القاسم واشياء وقعت واشياء لم تقع بعد، وعتق الكتاب واوصله إلى أحد حاشية الخليفة المقتدر فأوصل الأخير الكتاب إلى المقتدر، فكان في الكتاب صفات الحسين بن القاسم فدعاه المقتدر واستوزه[32] والدليل على ذلك ما ذكره أحد المؤرخين بقوله: « كان ذلك من أعظم الأسباب في وزارته مع كثرة الكارهين له »[33] وكان شراء ذمته مقابل أن الحسين بن قاسم ولّى الدانيالي الحسبة واعطى له مائة ألف دينار كل شهر ثم زاده مائة ألف أخرى[34].

المبحث الثاني

سياسة بذل المال وإهداء المصنفات

وصنف بعض الأدباء المؤلفات من أجل التقرب للخلفاء العباسيين أو الوزراء المهدى إليه فتمكن المهدي من بذل وشراء ذمم طائفة من المؤلفين والمؤرخين أمثال المؤرخ الجاحظ من بين أولئك المفكرين الأدباء الذين اهدوا مؤلفاتهم لكثير من الحكام وأرباب المناصب المهمة في الدولة، لينتفع منها مادياً ومعيشياً فعندما سأله أحدهم إذ كان يمتلك ضيعة تبسم قائلاً :»اهديت كتاب الحيوان إلى محمد

(29) الحسين بن قاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزر للمقتدر العباسي بعد إن وعده بالأموال وكثرتها وكانت مدة وزارته عاماً واحداً حتى عزل من وزارته سنة 320هـ/932م. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ، 389/23.

(30) رجال ذكي محتال ظهر في بغداد زمن المقتدر العباسي ، كان يعتق الكاغد ويكتب به بخطه ما يشبه الخط العتيق فيه رموز وإشارات أرباب المناصب وهو يدعي انَّه ورثه عن أبائه ويدعي أن هذه الكتب من ملاحم دانيال النبي (ص). ينظر: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 231/8.

(31) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 230/8؛ النويري ، نهاية الأرب ، 94/23.

(32) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 389/23؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 376/3.

(33) ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، 295/5 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،231/8.

(34) الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري ، 64/1.

بن عبد الملك[35]، فأعطاني خمسة الاف دينار واهديت كتاب البيان والتبين إلى ابن أبي داود ، فأعطاني خمسة الاف دينار. واهديت كتاب الزرع والنخيل إلى إبراهيم بن العباس الصولي، فأعطاني خمسة الاف دينار .فانصرفت الى البصرة ، ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تحديد ولا تسميد»[36]، وأيضاً اهدى كتاب (التاج في أخلاق الملوك)، لوزير المتوكل الفتح بن خاقان(ت247هـ/861م)[37]، فأما كتاب البيان والتبين فأنَّه تقرب به إلى ابن أبي داود لأنه عربي فتكسب به بدفاعه عن العرب، واهدى كتاب الأتراك الى الفتح بن خاقان وهو تركي الأصل فحظي بمكانة رفيعة عند الوزير[38] من خلال الرواية نستدل على أن الجاحظ كرس علمه في خدمة أرباب المناصب المهمة لينعموا عليه بالبذل والعطايا فتمكن بذلك من شراء ذمته وكسب ولائه .

الجاحظ كرس علمه في خدمة أرباب المناصب المهمة لينعموا عليه بالبذل والعطايا فتمكن بذلك من شراء ذمته وكسب ولائه

ومن الأدباء أيضاً ابن الدية (334هـ/945م) الذي ألف للخلفاء والأمـراء والـوزراء حتى نال مكانة عظيمة وشهرة واسعة بإهدائه مصنفاته لهم، فأختص بالطولونيين وسيرتهم[39]، وتقرب من الوزراء والمتنفذين بالدولة بإهداء مؤلفاته إليهم، إذ قام بإهداء مؤلفه لعلي بن عيسى وكان عنونه (مختصر المنطق) وألفه كتاب آخر لإبراهيم بن المهدي[40]، وبذلك فان السلطة وحاشيتها قد بذلوا الأموال والعطايا لهؤلاء الأدباء المفكرين وتمكنت من شراء ذممهم فاصبحوا يقدمون لها فروض الطاعة والولاء بإهداء المصنفات سعياً لإرضائها، ونيل عطاياهم .

وكذلك الأديب والمؤرخ الصابي[41] بين ماهية المصنفات المهداة من الأديب إلى السلطان أو الحاكم عندما ألف لعضد الدولة البويهي كتاباً الذي تناول فيه سيرة بني بويه سماه (التاجي في أخبار بني بويه[42]، بعد أن أفرج عنه من السجن وهم بقتله وكان الصابي كاتباً لعز الدولة بختيار فكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة تؤلمه فحقد عليه، بعد أن دخل عضد الدولة البويهي بغداد وسيطر عليها،

(35) كان أديباً وفاضلاً وعالماً بالنحو واللغة ، أتصل بالمعتصم فأستوزره ، ووزر للواثق أيضاً، وكان بينه وبينا حمد بن أبي دواد عـداوة شديدة ، فلمّا ولّي الخليفة العباسي المتوكّل أغـراه به حتّى قبض عليه وطالبه بالأموال، وقد كان محمّد صنع تنوراً من الحديد فيه مسامير إلى داخله ليعذّب به من بسجنه وقيل انَّه أول من أمر بعمل ذلك، فأدخله المتوكّل فيه وعُذّب إلى أن مات وذلك في سنة (233هـ/847م). ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، 342/7-343.

(36) ابن النديم ، الفهرست، ص210؛ ياقوت الحموي، معجم الأدبـاء، 107/16.

(37) الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك ، ص1؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ص313.

(38) البستاني ، أدبـاء العرب ، ص211.

(39) حاجي خليفة، كشف الظنون ،1015/2.

(40) الصفدي ، الوافي بالوفيات، 184/8.

(41) أبو أسحاق، إبراهيم بن هلال الصابي الحراني، الأديب البليغ، كان يصوم شهر رمضان، ويحفظ القرآن، كتب لعز الدولة بختيار فلما تولّى عضد الدولة العراق سجنه وهم بقتله ثم أفرج عنه، مات كافراً سنة (384هـ/994م) . ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء، 524/16.

(42) ابـن خلكان ، وفيات الأعيان، 51/4؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات، 64/24.

غضب من الصابي واودعه السجن فلما فرج عنه أمره أن يؤلف له كتاباً في أخبار بني بويه فصنف له كتاب التاجي[43]، فاراد الصابي أن يتقرب من عضد الدولة بإهدائه المؤلف، فلما سئل عن كتابه التاجي بقوله:» أباطيل الفقها، وأكاذيب أنمقها «[44]، وما جواب الصابي هذا إلاَّ بيان واضح المفهوم على معظم المؤلفات التي تهدى إلى الحكام وتبين ماهية عمل أغلب الأدباء عند السلاطين والخلفاء، إذ استطاع عضد الدولة كسب ولاء الصابي بتفريجه عنه وتقرب الأخير من الأمير البويهي بتصنيف كتاب يخص دولتهم مزيفاً سياستهم كما ذكر سابقاً .

(43) أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، 129/2.

(44) ياقوت الحموي ، معجم الأدبـاء ، 32/2؛ الذهبي ، سير أعـلام النبلاء ، 524/16 ابن الـوردي، تاريخ ابـن الـوردي، 301/1.

ويبدو هذا الأمر هو الذي أشار إليه رضا في قوله: «وقد عنِيَ الملوك المستبدون بجذبِ العلماءِ إليهم بسلاسلِ الذهب والفضة والرتب والمناصب، وكانَ غيرهم أشدَّ انجذاباً ووضع هؤلاء العلماء الرسميون قاعدةً لأمرائهم ولأنفسهم هدموا بها القواعد التي قام بها أمر الدين والدنيا» [45] .

(45) الدولة في الفكر الإسلامي، ص48.

إن خطب الخلفاء الثيوقراطية جاءت بأفكار أرادت السلطة تأكيدها وبثها في الفكر البشري لتعمل على كسب ولاء الفرد والمجتمع المطلق للسلطة الحاكمة، إذ أن أهم ما يصبوا إليه بني العباس هو اعمام فكرة الطاعة المطلقة للخليفة الحاكم، وشددوا على فقهاء السلطة والدليل على ذلك أيضاً، قول بلقزيز[46]:» وما من شك أن تراث الطاعة في الفكر والممارسات السياسية الإسلامية أسهم في تشكيل الذهنية القابلة للاستبداد...شهد الناس من سلوك السلاطين والأمراء، ومن سطوتهم باسم الدين ما قام في وعيهم التلازم بين سلطتهم الزمنية، وسلطتهم الروحية، ثم ساعد فقه السلطان على تفشي هذا الاعتقاد من خلال انصراف أجيال من الفقهاء إلى وضع الشرع تحت تصرف السلطان والتسويغ له دينيا» فمثلا ما جاء في خطبة الخليفة المنصور قائلاً: « أيَّها الناس انَّما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده وتبصيره، وحارسه على فيئه أعمل بمشيئته واقسمه بإرادته...»[47] .

(46) الدينوري، الأخبار الطوال، 27/2؛ الطبري ، تاريخ الطبري، 331/6 ؛ ابـن حمدون، تذكرة الحمدونية ، 177/7.

(47) التيجاني، الشيعة هم أهل السنة، ص 174.

وفي الحقيقة نجد أن الخلفاء العباسيين أشتروا ذمتهم وكسب ولائهم من أجل تحقيق مآربهم كما أوضحنا سالفا، إذ يلخص أحد الباحثين ذلك بالقول:» أن الحكام الذين استولوا على أموال المسلمين بالقهر والقوة، نراهم يوزعون هذه الأموال بسخاء على علماء... والمتزلفين إليهم؛ لاستمالتهم وشراء ضمائرهم ودينهم بدنياهم».

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصل اليها البحث :-

1. يعد أسلوب الاستمالة ببذل الأموال أحد الركائز التي اعتمد عليها العباسيون لكسب الولاءات وشراء ذمم رجال العلم والعلماء، وقد تفنن خلفاء بني العباس في تطوير هذا الأسلوب للوصول إلى غاياتهم بعد اعتلائهم السلطة فاتخذوها وسيلة للاستمالة .
2. أهتم الخلفاء العباسيين بالجانب الفكري، ونجحوا في توظيف سياسة كسب الولاء وشراء ذمة من لا ذمة لهم، والعمل على كسب ود عدد من رجال العلم ومنهم الأدباء لتتمكن عن طريقهم من ترسيخ فكرتين من أهم الأفكار التي تخدم سياستهم الملتوية وهي فكرة الطاعة المطلقة واضفاء صفة القداسة على شخص الخليفة وشرعية خلافتهم وتزييف الحقائق التي تؤكد على ذلك من خلال كسب الأدباء .

أهتم الخلفاء العباسيين بالجانب الفكري، ونجحوا في توظيف سياسة كسب الولاء وشراء ذمة من لا ذمة لهم

3. اعتماد سلاطين الدولة في حكمهم سياسة الترغيب المتمثلة بشراءِ الذِّمم والولاءات تارة، وسياسة الترهيب المتمثلة بالقتلِ والغدرِ تارة أخرى، وهكذا سيروا أمور الدولة ووجهوها وفقاً لرغباتهِم ومصالحهم الخاصة.
4. كان خلفاء الدولة العباسية يبادرون بتقديم الأموال من أجل شراء إهداء المصنفات مقابل تشريع انحرافاتهم الفكرية والتشريعية، واستخدمت سياسة طبقية بينهم وتمكنت من خلال ذلك شراء ذممهم وولائهم، إذ رفعت مكانة بعض العلماء وحجمت مكانة البعض الآخر عن طريق تبني المذهب، حيث كانوا في ما بينهم يتبادلون شتى أنواع الرشوة والهدايا .

المصادر والمراجع

ثانياً: المصادر الأولية

- **ابن الأثير ،أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ، (ت:630هـ / 1232م).**

1. الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، 1966م.
2. اللباب في تهذيب الانساب، دار صادر بيروت، د.ت.

- **البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت:487هـ/1094م)**

3. معجم ما استعجم، ط3، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت،1403هـ.

- **الجاحظ ، أبي عثمان عمر ابن بحر البصري، (ت: 255هـ / 864م).**

4. التاج في اخلاق الملوك ، تح :احمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية ، القاهرة 1914م.
5. رسائل الجاحظ، تح : حسن السندوبي ،المطبعة الرحمانية ، مصر 1933م.
6. كتاب العثمانية ، تح :عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت 1991م.

- **سبط ابـن الـجـوزي ، شمس الـديـن ابـو المظفر يوسف، (ت:654هـ/1256م).**

7. مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تح : لجنة من العلماء، دار الرسالة العلمية، دمشق ،سوريا ، 2013م

- **ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله، (ت: 656هـ / 1258م).**

8. شرح نهج البلاغة, تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، د. م ، 1962م .

- **ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد ،(ت: 456هـ / 1063م).**

9. جمهرة انساب العرب ، تح: لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1983م .

- **ابن حمدون ، محمد بن الحسين ،(ت:562هـ/1166م) .**

10. التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، 1996م .

- **الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت،(ت: 463هـ**

/ 1070م).
11. تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (ت: 808هـ / 1405م).**
12. تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م.
- **ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت: 681هـ/ 1282م).**
13. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- **الدميري ، كمال الدين، (ت :808هـ/ 1405م) .**
14. حياة الحيوان الكبرى ، ط2 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1424هـ.
- **الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت:748هـ / 1347م)**
15. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تح : عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1987م .
16. سير أعلام النبلاء، ط9، تح : شعيب الارنـؤوط، محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1993م.
17. ميزان الاعتدال ، تح: محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1963م .
- **الرازي، محمد بن ابي بكر عبد القادر،(ت:666ه/1268م)**
18. مختار الصحاح، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.
- **الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني، (ت: 1205هـ/ 1790م).**
19. تاج العروس من جواهر القاموس، تح :علي شيري، دار الفكر ، بيروت، 1994م.
- **الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر،(ت: 538هـ / 1143م).**
20. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1992م.
21. **الصفدي ،صلاح الدين بن خليل ،(ت: 764هـ / 1362م).**
22. الوافي بالوفيات، تح: أحمد الارناؤوط، وتركي مصطفى، دار

احياء التراث ، بيروت، 2000م.

- **الصولي، محمد بن يحيى ، (ت:335 هـ/946م).**

23. الأوراق، ج، هيورث، دن، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة ، 2004م .

- **الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: 310هـ / 922م).**

24. تاريخ الطبري المسمى (تاريخ الرسل والملوك) تح: نخبة من العلماء الاجلاء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1879م.

- **ابن عساكر ،علي بن الحسين بن هبة الله ،(ت: 571هـ / 1175م).**

25. تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري ، دار الفكر، بيروت ،1415هـ .

- **ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا، (ت: 395هـ/ 1004م).**

26. معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الاعلام الإسلامية، د. م ، 1404ه .

- **أبو الفرج الأصفهاني ،علي بن الحسين بن محمد، (ت: 356هـ / 966م)**

27. الأغاني ، دار احياء التراث، بيروت، د. ت .

- **أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي،(ت:799ه/1396م)**

28. المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، د.ت.

- **القضاعي ، محمد بن سلامة ،(ت:454ه/ 1062م).**

29. مسند الشهاب ، تح: حمدي عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1405 /1985م .

- **المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت: 346هـ / 957م).**

30. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، منشورات دار الهجرة، قم، 1984م،

- **ابن مسكويه ، أحمد بن يعقوب، (ت :421هـ / 1030م).**

31. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم امامي، ط2 ،مطابع دار سروش للناشر، طهران، 2001م.

- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت:711هـ /1311م).**

32. لسان العرب ، نشر ادب الحوزة، د. مك ، 1405ه.

- **ابن النديم ، محمد بن اسحاق، (ت:438هـ/1046م) .**

33. الفهرست ، تح : رضا تجدد ، طهران ، 1971م .

- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،(ت: 732هـ / 1331م).**

34. نهاية الإرب في فنون الأدب ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، دار الكتب ،القاهرة ، د.ت.

- **الهمداني : محمد بن عبد الملك ،(ت: 521ه/1127م) .**

35. تكملة تاريخ الطبري ، تح: البرث يوسف كنعان ،ط2، المطبعة الاثوليكية، بيروت، 1961م.

- **ابن الوردي، عمر بن المظفر بن عمر بن محمد،(ت: 749 هـ/ 1348 م) .**

36. تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م

- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ، (ت :626هـ /1229 م)**

37. معجم الأدباء(الإرشاد الاريب إلى معرفة الأديب)، ط3 ، دار الفكر، بيروت، 1400ه.

ثانياً: المراجع

- **البستاني ، بطرس**

38. أدباء العرب في الاعصر العباسية ، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر.

- **التيجاني، محمد**

39. الشيعة هم أهل السنة، تح: مركز الأبحاث العقائدية ، ستارة، قم، 1427م.

- **نوري ، موفق سالم**

40. الجاحظ بين الدعاية السياسية للسلطة ومعتقده الاعتزالي، كلية المعلمين، جامعة الموصل، روضة الكتب ، 2018.

- **لجاف ، جيا فخري عمر وخليل حميد**

41. النقد في العصر العباسي الجاحظ ودوره الحضاري في القرن الثالث الهجري، مجلة كلية التربية، العدد 9.